مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار بمركز الخليج للأبحاث
Gulf Research Center Dialogue Lab

أوراق ثقافية

الشرق الأوسط الجديد
حكاية متجددة

د. زيد بن علي الفضيل

مدير البرنامج الثقافي والإعلامي

ابريل – 2026

1

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أطلق الأوربيون على الدولة العثمانية في مؤتمر (بطرس بيرق) اسم الرجل المريض، إيذانا منهم بالبدء في تفتيته وتقسيم أرجاء سلطانه. وكانت فرنسا قبل ذلك وتحديدا في عام ١٨٣٠م قد احتلت الجزائر، كما احتلت بريطانيا عدن في عام ١٨٣٩م، ثم توالى سقوط عديد من الأقاليم العربية كتونس في يد الفرنسيين عام ١٨٨٠م، ثم مصر في يد البريطانيين عام ١٨٨٢م، وصولا إلى بقية أجزاء المنطقة العربية جراء هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، التي أدت إلى زوالها كليا في العام ١٩٢٤م.

في المقابل فقد تزامن مع هذا الانهيار أن أخذت عديد من الأفكار في التغلغل ضمن نطاق الأمة العثمانية ودون أن يتنبه المفكرون والعلماء والسياسيون في حينه لخطورتها، بل أتصور أنهم تعاملوا معها بشيء من اللامبالاة، لكونهم قد نظروا إليها بعقلية وذهنية القرن التاسع عشر وليس العشرين.

وليتضح المراد أكثر، أشير إلى أن الرابط الديني كان هو الجامع بين مختلف المكونات القومية والمذهبية والعرقية والسياسية التي كانت تجتمع تحت سلطة العثمانيين، انطلاقا من كون الحاكم العثماني خليفة للمسلمين واجب الطاعة. وبالتالي فقد راوحت الأفكار السياسية التحديثية مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الميلادي بين فكرتين أساسهما التوجه الديني بالدرجة الرئيسة، وهما:

١) فكرة الجامعة الإسلامية التي كان ينادي بها الشيخ جمال الدين الأفغاني.

٢) والرابطة العثمانية التي نادى بها مصطفى كامل مؤسس الحزب الوطني في مصر.

على أن الأمر لم يستمر على ذلك، حيث ظهرت العديد من الدعوات القومية التي عملت على تفتيت الدولة العثمانية، وأدت إلى القبول بتقسيمها، كالطورانية في الجانب التركي، والقومية العربية في عديد من الأقاليم العربية، والتي ظهرت كحالة منفصلة عن الدولة العثمانية منذ مطلع القرن العشرين وتحديدا في عام ١٩٠٣م تقريبا، حين أعلن نجيب عازوري تأسيسه لعصبة الجامعة العربية في باريس عام ١٩٠٥م.

في تصوري فإن تلك الدعوة كانت البداية لمرحلة جديدة من التقسيم، حيث نشأ عنها تأسيس الجامعة العربية عام ١٩٤٥م، منهيا أي أثر لما عرف بالرابطة الدينية بين مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وولد بديلا عنها مسمى جديدا وهو ما يعرف باسم الشرق الأوسط، الذي يمتد من مصر غربا إلى إيران شرقا، ومن تركيا شمالا إلى اليمن جنوبا.

٢

واليوم مع مطلع قرن جديد، بل وألفية جديدة، تظهر علينا العديد من الرؤى الراغبة في خلق حالة جديدة من التكوين السياسي في المنطقة، وللأسف بنفس وذات الطريقة والأسلوب الذي تم فيه إحداث التقسيم والتغيير مع مطلع القرن العشرين.

ما أقصده أن الوسيلة نفسها تتكرر، وردة فعلنا ذاتها تتكرر، وبالتالي فالنتيجة ستكون كسابقتها حتما، وهذا يعني أننا لا نزال نفكر في كثير من القضايا المستجدة بعقلية الفترة الماضية واليس المستقبلية.

حيث لو فكر أباءنا في كثير من الأحوال المستجدة والمتغيرات الناشئة في عهدهم مع مطلع القرن العشرين بعقلية القرن العشرين وليس بذهنية القرن التاسع عشر، لتمكنوا من صناعة مشهدهم الذي يرغبون به، وليس المشهد السياسي الذي فرض عليهم من قبل المخطط الغربي الذي يحركه اللوبي الصهيوني بوجه عام.

ونحن اليوم على ذات المنوال، فإشكالنا أننا نفكر في كثير من القضايا المستجدة بذهنية القرن العشرين وليس الواحد والعشرين، وننظر إلى عديد من القضايا بنمط الألفية الثانية وليس الألفية الثالثة. وبالتالي فكما تم خلق مصطلح الشرق الأوسط في القرن العشرين، الذي حقق أهدافا سياسية هامة لدولة إسرائيل الناشئة، من حيث إنها وهي الكائنة في وسط المحيط العربي، ستنظم إقليميا إلى محيط قومي متنوع فيه العربي والعجمي بمختلف أنواعه؛ يتكرر اليوم المشهد ليتم خلق مصطلح جديد وهو (الشرق الأوسط الكبير أو الجديد)، الذي يقوم على تفتيت المنطقة إلى كنتونات أصغر حجما تقوم على الهوية العرقية الأصغر، وعلى الهوية المذهبية الأدق كذلك.

إن حاجة الكيان الصهيوني اليوم كامنة في أن يتم تقسيم المنطقة إلى دول تقوم على أساس مذهبي دقيق، كأن تقام دولة على أساس سلفي أو مالكي أو شافعي وهكذا في الإطار السني، أو زيدي أو اثناعشري أو اسماعيلي في الإطار الشيعي، وكذلك الحال في الإطار العرقي، حيث تتأسس دويلات على أساس ورابط قبلية وليس قومية. وهو ما يحقق لها التفوق والسيطرة من جهة، ويخلق لها مساحة واسعة من الحركة والتمدد في المنظور المستقبلي القادم.

هذا الشرق الأوسط الكبير أو الجديد يتم التجهيز له بإثارة الصراعات الطائفية والعرقية التي تعززها قوى استخباراتية من جهة، ويسهم في نموها بدون وعي عديد من أبناء الأمة العربية من علماء سطحيين ورؤساء عشائر لا يفقهون من الأمر شيء، وزعامات فارغة يتم الرفع من شأنها لتحقيق أهداف من يحركها.

وفي المحصلة فنحن أمام مشهد تقسيمي جديد يتم بالصورة والكيفية التي تم تقسيم المنطقة بها في مطلع القرن العشرين، مع اختلاف الوسائل قليلا. فهل من عاقل يدرك؟ وهل من أمة تنتفض لتحمي نفسها من الهلاك المحقق؟ .

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium